الرسالة الثالثة

إتحاف الأحياء
بخلاصة الكلام على أبي حامد
وكتابه الإحياء

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه . . .

أما بعد :

لقد راجت في كثير من الأوساط الإسلامية بعض الكتب المشحونة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والأخبار الملفقة والشطحات الصوفية التي تشوه جمال الاسلام وتشغل المسلمين عن الاغتراف من منهله الصافي، وتربيهم على الأفكار السقيمة والتخيلات المريضة وتدفع بهم إلى حضيض من الاعتقادات الفاسدة وتسبب إلحادهم وتحول دون تقدمهم، وتلهيهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى .

رحم الله سلفنا الصالح فقد كانوا يحذرون المسلمين من مخالطة أصحاب الأهواء والبدع، ومطالعة كتبهم، حتى لا يقعوا فريسة في حبائلهم وذلك عملًا بحديث النبي ﷺ «**الدين النصيحة . .**» ولم يكونوا يخافون في ذلك لومة لائم .

فعن سعيد بن عمرو البردعي قال شهد أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل : إياك وهذه الكتب . هذه كتب بدع وضلالات . عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب .

قيل له : في هذه الكتب عبرة .

قال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة .

بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي والأئمة المتقدمة صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس. وهذه الأشياء هؤلاء خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع[(١)].

ويعلل ابن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم نهي الأئمة عن قراءة هذه الكتب الضالة بقوله «وإنما ذم أحمد وغيره المتكلمين على الوساوس والخطرات من الصوفية حيث كان كلامهم في ذلك لا يستند إلى دليل شرعي بل إلى مجرد رأي وذوق كما كان ينكر الكلام في مسائل الحرام والحلال بمجرد الرأي من غير دليل شرعي»[(٢)].

وإن مما لا مراء فيه ولا ريب أن هذه الموروثات الضخمة من التصورات والمفاهيم في عالم المسلمين في حاجة إلى إعادة نظر بالكلية. وكل ذي نظر يدرك كم جرت علينا هذه التصورات وهاتيك المفاهيم من خسران مبين في ديننا ودنيانا.

ومن ذلك ما يدور حول الغزالي «أبي حامد» المتوفى سنة ٥٠٥هـ وحول تسميته «حجة الإسلام» وحول فكره الصوفي وحول مؤلفاته ولا سيما ما يسمى زورًا وبهتانًا «إحياء علوم الدين»[(٣)].

---

(١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (٦٦-١٦٧)، دار الكتب العلمية بيروت، و«الميزان» للذهبي (١/ ٤٣١).

(٢) «مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم» لسليم الهلالي (٤١-٤٢).

(٣) هذا هو الغزالي الذي نعته المتصوفة بحجة الإسلام زورًا وإفكًا وتدليسًا سيرته سلالة من تناقض وفكره شوائب الفلسفة «مؤلفات سعيد حوى» (٣٩) لسليم الهلالي. ذكر ذلك بعد كلامه عليه.

«سمي الغزالي بحجة الإسلام مع أن ثقافته الإسلامية كانت محدودة خاصة في علم الحديث وكثرة الأحاديث الضعيفة في كتبه عامة وفي الإحياء خاصة وسجل عليه ذلك أكثر من عالم»(١) .

ونقول وبالله التوفيق: إن تسمية أي إنسان بحجة الإسلام تسمية باطلة مهما كان قدر ذلك الإنسان فضلًا عن أن يكون الغزالي لأن الإسلام هو الحجة على الجميع بنصوصه وتشريعاته وهذا أمر من البدهيات التي لا تخفى على أولي الألباب فكيف يكون المحجوج عليه حجة؟ ولو اقتصرت التسمية على أي اسم غير هذا لهان الأمر.

بل غلا محمد مصطفى المراغي فيه فقال في ترجمته «الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب»(٢) وقال **القرضاوي** في كتابه(٣) «ولا يعرف كتاب - بعد القرآن والصحاح- أثر في حياة المسلمين مثله حتى قيل فيه: كاد الإحياء يكون قرآنًا»؛ ونسب العيدروس(٤) قولًا للنووي أنه قال «كاد الإحياء أن يكون قرآنًا» ونقل عن السقاف قوله «**لو قلب أوراق الإحياء كافر لأسلم**»(٥) وقال بعضهم «**من لم يقرأ الإحياء ليس من الأحياء**»؛ وقال بعضهم «**لو اجتمع علماء المسلمين كلهم ما استطاعوا أن يصنفوا مثله**» كما بالغ من الجهال من بالغ فقال في كتابه

---

(١) كما سيأتي وانظر (٧) من «رسالة بعنوان مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» للدكتور محمد رشاد سالم.

(٢) «الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه» للقرضاوي (١٩).

(٣) المصدر السابق (٨٣).

(٤) في كتابه «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» (٥/ ٦) ملحق بكتاب الإحياء.

(٥) المصدر السابق (٥/ ٨).

«الوجيز» للغزالي «لو ادعى النبوة لكان معجزة له كافية» نقله الزبيدي (٢/ ٢٨٧ ، ٢٨٨) مقرّا غير متعقب[١] .

«بل الأدهى من ذلك كله ما ذكره اليافعي من أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن علي بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي كان بالغ في الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعًا مسموع الكلمة ، فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الإحياء وهم بإحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي ﷺ فيه ومعه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي ﷺ ، فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالي : هذا خصمي يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعم تبت إلى الله ، وإن كان شيئًا حصل لي من بركتك وإتباع سنتك فخذ لي حقي من خصمي ، ثم ناول النبي ﷺ كتاب الإحياء ، فتصفحه النبي ﷺ ورقة ورقة من أوله إلى آخره ، ثم قال : والله إن هذا لشيء حسن ، ثم ناوله الصديق ﷺ ، فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق إنه لشيء حسن ، ثم ناوله الفاروق عمر ﷺ ، فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق ، فأمر النبي ﷺ بتجريد الفقيه علي بن حرزهم عن القميص وأن يضرب حد المفتري ، فجرد وضرب . فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق ﷺ وقال : يا رسول الله لعله ظن فيه خلاف سنتك فأخطأ في ظنه ، فرضي الإمام الغزالي وقبل شفاعة الصديق ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط على ظهره ، وأعلم أصحابه وتاب إلى الله وتاب عن إنكاره

(١) تخريج أحاديث الإحياء للحداد (٥) .

على الإمام الغزالي واستغفر ، ولكنه بقي مدة طويلة متألمًا من أثر السياط وهو يتضرع إلى الله تعالى ويتشفع برسول الله ﷺ ، إلى أن رأى النبي ﷺ دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفي وشفي بإذن الله تعالى ، ثم لازم مطالعة إحياء علوم الدين ففتح الله عليه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر المشايخ وأهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله تعالى[١] .

وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى وكان أدرك الإمام الغزالي واجتمع به قال : سمعت الإمام الفقيه الصوفي سعد بن علي بن أبي هريرة الإسفرايني يقول : سمعت الشيخ الإمام الأوحد زين القراء وجمال الحرم أبا الفتح الشاوي بمكة المشرفة يقول : دخل المسجد الحرام يومًا فطرأ علي حال وأخذني عن نفسي ، فلم أقدر أن أقف ولا أجلس لشدة ما بي ، فوقعت على جنبي الأيمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة ، وكنت أطرد عن نفسي النوم ، فأخذتني سنة بين النوم واليقظة ، فرأيت النبي ﷺ في أكمل صورة وأحسن زي من القميص والعمامة ، ورأيت الأئمة الشافعي ومالكًا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضوا عليه مذاهبهم واحدًا بعد واحد ، وهو ﷺ يقرهم عليه ، ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فأمر النبي ﷺ بطرده وإهانته ، فتقدمت أنا وقلت يا رسول الله ، هذا الكتاب- أعني إحياء علوم الدين-معتقدي ومعتقد أهل السنة والجماعة ، فلو أذنت لي حتى أقراه عليك فأذن لي فقرأ عليه من **«كتاب قواعد العقائد»** .

---

(١) وانظر قصص لاتثبت ليوسف محمد العتق(٤/ ٢٧-٣٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول : الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة ، حتى انتهيت إلى قول الغزالي : وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمدًا إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس؛ فرأيت البشاشة في وجهه ﷺ ثم التفت وقال أين الغزالي؟ وإذا بالغزالي واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يا رسول الله ، وتقدم وسلم ، فرد عليه السلام ، وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالي يقبلها ويتبرك بها ، وما رأيت النبي ﷺ أشد سرورًا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتي عليه الإحياء ، ثم انتبهت والدمع يجري من عيني من أثر تلك الأحوال والكرامات[(١)] .

كان لمثل هذه التصريحات والمنامات والافتراءات والأساطير والخرافات والخزعبلات أثر بالغ في قلوب السذج من المسلمين قديمًا وحديثًا ، فقرأوا الكتاب والسنة للتبرك بهما ، ودرسوا «الإحياء» وغيره من كتب الصوفية للتمسك بها عقيدة وعملًا ، وإنه لخسارة للبشرية كلها أن تقرأ أمثال هذه الكتب التي تتدفق بسيول من المخالفات في جميع أبواب الدين ، وسيأتي من النصوص الصوفية ما يكفي للاعتبار ، وليس الخبر كالمعاينة .

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد تواصى رجال الفكر الصوفي والدعوة الصوفية ، ولا يزالون يتواصون بالإحياء بأسلوب أو آخر[(٢)] .

---

(١) «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» للعيدروس ملحق بكتاب الإحياء (٥-٦) .
(٢) «الأستاذ أبو الحسن الندوي» لصلاح مقبول (٩٦) .

ومما يجهله الكثيرون عن الغزالي أنه من الأشاعرة[١] وهي مدرسة كلامية ابتدعت مذهبًا كلاميًا ولفقته تلفيقًا فهو خليط من الاعتزال والسلفية والجبرية والفلسفية اليونانية القديمة قبل سقراط . ولا شك أن الأشاعرة مخالفون بذلك عقيدة أهل السنة والجماعة[٢] .

وأما كتابه «الإحياء» فليس له من اسمه أدنى نصيب ثم هو بذلك قد أصدر حكمًا قاطعًا بأن كل علوم الدين قاطبة قد ماتت وبأنه قد جاء ليبعثها من أجداثها لتكتب لها الحياة مرة أخرى والكتاب مكتظ بفكره الصوفي وبعقيدته الأشعرية . هذا إلى جانب العديد من الإسرائيليات والخرافات والأساطير والخزعبلات فضلًا عن المئات من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة . وقد اعترف هو بنفسه بعدم معرفته بالحديث حيث أقر في كتابه «التأويل» بأنه رجل رديء البضاعة في الحديث[٣] .

فالكلام عن الغزالي[٤] وكتبه وبيان ما فيها من الأخطار العقدية على المسلمين فرض على من تأهل لذلك وإلا يكون داخلًا في كتمان ما أوجب الله بيانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٥] .

---

(١) وانظر : «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للدكتور المحمود (٢/ ٦٢٢-٦٤٤) و(٢/ ٧١٥-٧١٧) ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله لخالد محمد نور .

(٢) وانظر بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة منها لناصر العقل (٦٦-٧٧) .

(٣) بدع الصوفية والكرامات والموالد لعلي بن عبد العال الطهطاوي (١٩٤-١٩٥) .

(٤) حين نذكر أهل البدع ونذمهم لا نحكم عليهم بأعيانهم بنار ولا خلود فيها فلعلهم تابوا- مثل الغزالي رحمه الله- أما البدع فإن واجب النصح في الدين فوق كل امرئ والحمد لله على العافية .

(٥) سورة البقرة آية : (١٥٩) .

تنبيه مهم : نظرًا لتعدد الطبعات وكثرتها فقد اعتمدت في الإحالات على النسخة التي طبعتها دار الكتب العلمية بيروت- لبنان نشر المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة «إحياء علوم الدين» وبذيله كتاب «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» وملحق به ثلاث كتب :

الأول : تعريف الأحياء بفضل الإحياء للعيدروس .

الثـاني : الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالي .

الثالث : عوارف المعارف للسهروردي .

وقبل الدخول في الموضوع يجدر أن نذكر .

ترجمة موجزة عن حياة الغزالي[١]

فنقول: هو الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي[٢] أبو حامد فيلسوف متصوف وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف فقام عليهما. تفقه على إمام الحرمين ومهر في الفقه والخلاف والكلام والجدل والمنطق والحكمة والفلسفة وتأثر بكتب ابن سينا وإخوان الصفا وولي التدريس في المدرسة النظامية في بغداد بأمر من الوزير نظام الملك الذي أعجب به؛ ثم ترك ذلك ومال إلى الصوفية والغلو وكان من الأذكياء صاحب ذهن سيال جوال ولذلك يلاحظ عليه التقلب بين الفقه والالتزام بآداب الشرع وبين الخوض في الفلسفة والكلام والصوفية وهم في ذلك ألفاظ مستبشعة جدًا سقط فيها على أم رأسه له تآليف مشهورة في الفقه والتصوف والرد على الفلاسفة[٣]. بلغت نحو مئتي مصنف منها البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة والإحياء والمستصفى والمنخول واللباب وتهافت الفلاسفة وكيمياء السعادة والمعتقد وإلجام

---

(١) انظر: ما ذكره الزركلي في الأعلام (٧/ ٢٢) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٢-٣٤٦). و«لمزيد من الترجمة الكامل» لابن الأثير (١٠/ ٤٩١)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢١٦)، «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٧٣)، «العبر» (٤/ ١٠)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٦/ ١٩١)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٧٣)، «والنجوم الزاهرة» (٥/ ٢٠٣)، «شذرات الذهب» (٤/ ١٠)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٦٧١-٦٧٥)، «والمنتظم» (١٧/ ١٢٤).

(٢) نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقول بتشديد الزاي) أو إلى غزالة من قرى طوس (لمن قال بالتخفيف) انظر: «كلام ابن الصلاح في السير» (١٩/ ٣٤٣).

(٣) وفي رده على الفلاسفة حصل له تناقض عجيب بل ربما وافقهم فيما نقمه منهم بسبب تذبذبه كما سيأتي.

العوام والرد على الباطنية ومعتقد الأوائل وجواهر القرآن والغاية القصوى وفضائح الإباحية ومسألة عوز الدور وغير ذلك ولد أبو حامد سنة (٤٥٠) وتوفي سنة (٥٠٥هـ) يوم الإثنين رابع عشرة جمادى الآخرة في بلدة طوس بخرسان بعد أن رحل وطاف إلى نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ثم إلى بلده حيث توفي بها .

الدراسة وطلب العلم :

لقد عاش الغزالي في زمن تكاثرت فيه الآراء والفرق والمذاهب ، وكان من أبرزها : علم الكلام والفلسفة والباطنية والتصوف ، والغزالي درس هذه المذاهب كلها وخاض في غمارها .

فقد تلقى الأصول وعلم الكلام على الجويني ، ثم تفرغ لدراسة الفلسفة دراسة وافية ، وأكب على كتب ابن سينا كالشفاء والنجاة والإشارات ، ودرس أيضًا رسائل أبي حيان التوحيدي ، ورسائل إخوان الصفا ، ومؤلفات الفارابي ، وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه .

وفي التصوف أخذ عن كتاب : «قوت القلوب»[١] لأبي طالب المكي والقشيري صاحب الرسالة المشهورة ، والمحاسبي ، والجنيد ، لذا نجده لم يدع مذهبًا من المذاهب إلا وتوغل فيه . قال الغزالي واصفًا حاله :

«ولم أزل في عنفوان شبابي ، ومنذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين ، أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، وأتوغل في

(١) وسيأتي الكلام عنه .

كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطةٍ وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع.

لا أغادر باطنيًا إلا وأحب أن أطلع على بطانته ولا ظاهريًا، إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفيًا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلمًا إلا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه، ولا صوفيًا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته...»(١).

وهكذا سار الغزالي في هذه الطرق التي يعتقد أن الحق لا يعدو عن هذه الأصناف الأربعة وفي هذا يقول: «... **فابتدرت لسلوك هذه الطرق، باستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئًا بعلم الكلام، ومثنيًا بطريق الفلاسفة، ومثلثًا بتعليمات الباطنية، ومربعًا بطريقة الصوفية**»(٢).

وفي كتابه المنقذ من الضلال قسم الطرق الموصلة إلى الحق إلى أربعة الفلسفة، الكلام، الإمام المعصوم، الكشف. ثم رضي بالأخير دليلًا إلى الحق.

وقال شيخ الإسلام وقد حكي عنه -أي الغزالي- من القول بمذاهب الباطنية ما يوجب تصديق ذلك في كتبه ورد عليه أبو عبدالله المازري في كتاب أفرده ورد عليه أبو بكر الطرطوشي ورد عليه أبو حسن المرغيناني رفيقه، رد عليه كلامه في مشكاة الأنوار ونحوه ورد عليه الشيخ أبو البيان والشيخ

---

(١) «المنقذ من الضلال» للغزالي (٥) تحقيق محمد جابر.

(٢) المصدر السابق (٥).

أبو عمرو بن الصلاح، وحذر من كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النووي وغيرهم ورد عليه ابن عقيل وابن الجوزي وأبو محمد المقدسي وغيرهما(١).

خاتمته رحمه الله:

وبعد أن سار الغزالي طيلة حياته مستقصيًا هذه الطرق، وتبحر فيها وبلغ في كل طريقة الذروة فيها، انتهى بعد هذا كله إلى الحيرة والاضطراب، وعرف أن هذه الطرق لا تروي غليلًا، ولا تشفي عليلًا، وعرف أن الطريق الوحيد الموصل إلى معرفة الله وأسمائه وصفاته هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فعاد في آخر حياته إلى طريقة السلف وأهل الحديث واشتغل بكتابي البخاري ومسلم وأقبل عليهما بالحفظ والتعلم والإتقان.

وقد اتخذ لنفسه معلمين يحفظ عليهما الصحيحين، وكان يسمع في آخر حياته صحيح البخاري من أبي سهيل محمد بن عبد الله الحفصي وسنن أبي داود من القاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي.

نعم أدرك رحمه الله في أواخر حياته أهمية الحديث فشد المئزر وشمر عن ساعده ليتدارك ما فاته إلا أن المنية اخترمته قبل أن يحقق ما عزم عليه فمات وهو يشتغل في صحيح البخاري(٢) وذكر ابن كثير أنه سأله بعض أصحابه وهو في السياق، فقال أوصني قال عليك بالإخلاص ولم يزل

---

(١) انظر الرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٠) لعبد الحميد السحيباني-.

(٢) «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» لابن تيمية (١/ ٩٤).

يكررها حتى مات رحمه الله(١) وهذا لا يلزم منه تلقيبه بحجة الإسلام وترك ما فيه من انحراف وضلال .

ويحكي تلميذه عبد الغافر الفارسي آخر مراحل حياته قائلا :

«وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين- البخاري ومسلم- اللذين هما حجة الإسلام .

ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه من تحصيله» .

وهذه المرحلة الأخيرة كثيرًا ما يشير إليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في غالب كتبه ، مؤكدًا أنه مال إلى طريق أهل الحديث ، ومات على صدره صحيح البخاري . يقول رحمه الله : «لهذا تبين له في آخر عمره أن طريق الصوفية لا تحصل مقصوده فطلب الهدى من طريق الآثار النبوية وأخذ يشتغل بالبخاري ومسلم ومات في أثناء ذلك على أحسن أحواله كارهًا ما وقع في كتبه من نحو هذه الأمور مما أنكره الناس عليه»(٢) .

وهذا يدل على إنصاف ابن تيمية رحمه الله وعدله ، فإنه وإن كان يتعرض كثيرًا لآرائه وأفكاره ومؤلفاته بالنقد ، ويحذر الناس من مطالعة هذه الكتب ، لما فيها من أضرارٍ على العقل والروح ، ولكنه ما بخسه حقه أبدًا .

مع أن الكتب التي تركها في العقائد والفلسفة والكلام والتصوف لا شك أنها مضرة ، وفيها من البلايا ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فهي إما تراث فلسفي ، أو أشعري ، أو صوفي ، وكلها مخالفة لطريقة أهل السنة والحديث .

---

(١) «البداية» لابن كثير (١٢/ ١٧٤) ، «السير» (١٩/ ٢٣٢) وغيرهم .
(٢) «شرح العقيدة الأصبهانية» (١٧٣) .

أقوال العلماء في الغزالي وكتابه الإحياء[١]

وقبل الكلام عن الغزالي وكتابه نعرج على بعض مؤلفاته باختصار:

«الأربعين» لأبي حامد الغزالي:

• زعم فيه أنه يمكن للصوفي بما يمارسه من رياضة: إدراك الحقائق وكشفها له، حتى يزن به ما ورد به الشرع. انظر «الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام» رائد بن أبي علفه (١٧)، «مجموع الفتاوى» ابن تيمية (٤/ ٦٣-٦٤، ١٠٠) (١٧/ ٣٦٢)[٢].

«بداية الهداية في الموعظة» للغزالي:

انظر «الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام» رائد بن أبي علفه (٢١)، «مجموع الفتاوى» ابن تيمية (٤/ ٦٥)[٣].

«جواهر القرآن» لأبي حامد الغزالي:

«الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام» رائد بن أبي علفه، «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٧٩)[٤].

---

(١) وستتكلم عنه باختصار بل بخلاصة كما هو العنوان وما أراد الاستزادة فعليه بالمراجع المذكورة في آخر هذا المبحث.
(٢) «معجم البدع» (٥٥٢).
(٣) «معجم البدع» (٥٥٦).
(٤) «معجم البدع» (٥٦٤).

«السعادة» للغزالي:

- فيه من المردود والمخالفات للكتاب والسنة وإجماع الأئمة ما لا يخفى على عالم.

«مجموع الفتاوى» ابن تيمية (٢٩/ ٣٧٩)، «الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام» رائد بن أبي علفه (٥٩)[١].

«مشكاة الأنوار» للغزالي:

- خلط فيه ما بين التصوف والفلاسفة، فالنتيجة إذًا عجيبة. «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٣٨)، «الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام» رائد بن أبي علفه (١٠٨)[٢].

«المضنون به على غير أهله» الغزالي:

- ضمنه كلام الفلاسفة حيث جعل فيه «اللوح المحفوظ» النفس الفلكية، ولفظ «القلم»، العقل الأول، ولفظ «الملكوت» و«الجبروت» و«الملك» حيث جعل ذلك عبارة عن النفس والعقل، ولفظ «الشفاعة» حيث جعل ذلك فيضًا يفيض من الشفيع على المستشفع، وإن كان الشفيع قد لا يدري، وسلك في هذه الأمور ونحوها مسلك ابن سينا. «الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام» رائد بن أبي علفه (١١٠)، «الطبقات» للسبكي، «كشف الظنون» (٢/ ١٧١٣)[٣].

---

(١) «معجم البدع» (٥٧٠).
(٢) «معجم البدع» (٥٨١).
(٣) «معجم البدع» (٥٨٢).

«المفصح بالأحوال» الغزالي:

- قال فيه إن الصوفية في يقضتها يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور إلى درجات يضيق عنها ناطق النطق. «تلبيس إبليس» (١٦٥)(١).

«منهاج العابدين» للغزالي:

- ادعى فيه معرفة حقائق الأمور العلمية والدينية، حتى أنشد فيه قول القائل:

يا رب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسنًا

أما عن أبي حامد الغزالي وكتابه الإحياء

فقد اختلف الناس في تقييم هذا الكتاب فمنهم من أنكره بالكلية ومنهم من وافقه بالكلية ومنهم من فصل في ذلك كابن تيمية والذهبي والألباني وغيرهم.

وهو كتاب مشهور كثير التداول وهذا بحد ذاته لا يكفي في تزكية الكتاب وسلامته، بل عليه مآخذ شنيعة كما ستعرف، ومن أثنى عليه من العلماء فثناؤهم مقصور على جانب المواعظ والرقائق مع أن غالب تلك المواعظ منقول من كتب أخرى. ثم إن كتاب «إحياء علوم الدين» للشيخ أبي

(١) «معجم البدع» (٥٨٣).

حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، من الكتب السائرة بين الناس، المعتمدة لدى المائلين إلى التصوف بل من أشهر كتب التصوف على الإطلاق مع ما فيها من مخالفات صريحة لأمور التوحيد والنبوة والمعاد حتى قيل: «**من لم يقرأ الإحياء ليس من الأحياء**».

ولا ننسى محمد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(١). شارح الإحياء المسمى (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين) فقد زاد على ضلالات البدع بدعًا، وعلى انحرافات العقيدة زندقة، يلحظه من قرأ المجلد الأول، ويتجه عليه التشنيع(٢). أضعافًا بالنسبة للغزالي، وقد رأينا بعض طلبة العلم ممن ينتسب لعقيدة السلف يمدح الكتاب لما فيه من مباحث حديثية وفقهية ولغوية- ونحن لا ننكر ذلك- لكن كان الواجب عليه أولًا إنكار ما سطره في مسائل العقيدة المخالفة لمنهج السلف، ثم يمدح الحسن بما أراد أن يمدح؛ لكي لا يغتر به المبتدئ فضلًا عن العامي.

---

(١) هو محمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى اليماني من كبار علماء الحنفية واسع الاطلاع باللغة فهو مؤلف تاج العروس، صوفي صنف شرح الإحياء فساير الغزالي، قال العلامة شكري الألوسي: (كان من غلاة القبوريين والدعاة لمبتدعاتهم). «غاية الأماني» (٢/ ٣٧١).
«ترجمته في عجائب الآثار» للجبرتي (٢/ ١٠٣-١١٤)، و«فهرس الفهارس» (١/ ٥٢٦-٥٤٩) و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٧٠)، و«معجم المؤلفين» لرضا كحالة (١١/ ٢٨٢).

(٢) وانظر: «مقدمة تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» استخراج محمود الحداد (١/ ٥-١٠) حيث قال «وقد وصف نفسه في كثر من إجازاته (حنفي المذهب أشعري العقيدة قادري الإرادة نقشبندي السلوك) ولما ماتت زوجته زبيدة (١١٩٦) عمل على قبرها مقامًا ومقصورة وفرشًا وقناديل ولازم قبرها أيامًا!
هكذا فلم ينفعه علمه باللغة والفقه والحديث بما أفسدت علوم التصوف فيه. ومما ينتقد على الغزالي في كتابه فهو على الزبيدي إذ لم أره ينتقد الغزالي ولا يبين بدعه ولا يدفع عن سنة».

استفاد الغزالي في «الإحياء» من كتب المتصوفة، حتى تبطن «قوت القلوب» لأبي طالب المكي و«الرعاية» للحارث المحاسبي[(١)].

أما «قوت القلوب» فقد وصفه ابن الجوزي بما فيه الكفاية حتى قال:

«وصنف لهم أبو طالب المكي «قوت القلوب» فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الليالي والأيام وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد»[(٢)].

ويصف الخطيب البغدادي «قوت القلوب» بقوله (ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات)[(٣)].

ولقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن «إحياء علوم الدين» و«قوت القلوب» إلخ.

فأجاب: أما (كتاب قوت القلوب) فكتاب الإحياء تبع له فيما يذكره من أعمال القلوب: مثل الصبر والشكر، والحب والتوكل، والتوحيد ونحو ذلك. وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية وغيرهم من أبي حامد الغزالي. وكلامه أسد وأجود تحقيقًا، وأبعد

---

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي له كتب كثيرة في الزهد رفض تركة أبيه لخوضه في علم الكلام. من المتصوفة الذين خلطوا التصوف بالحديث والكلام من مؤلفاته: «الرعاية ورسالة المسترشدين في التصوف» يوجد فيها مخالفات كثيرة للعقيدة الصحيحة توفي سنة (٢٤٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٣٦٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٢٠٤)، قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٣٠-٤٣١)، «صدوق في نفسه وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه» وقد نقده كثير من العلماء كابن العربي المالكي في «العارضة» (٩/ ٢٠١).

(٢) «تلبيس إبليس» (١٦٤).

(٣) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٣/ ١٢-١٢١).

عن البدعة، مع أن في «**قوت القلوب**» أحاديث ضعيفة وموضوعة، وأشياء مردوده.

قال الشاطبي: «لأبي طالب آراء خالف فيها العلماء، حتى أنه ربما خالف الإجماع في بعض المواضع، لكن له كلام حسن في الوعظ والتذكير والتحريض على طلب الآخرة، فلذلك إذا احتاج الطلبة إلى كتاب طالعوه متحرزين، وأما العوام فلا يحل لهم مطالعته»(١).

قال ابن كثير: «كان رجلًا صالحًا له كتاب (قوت القلوب) ذكر فيه أحاديث لا أصل لها، بدعه الناس وهجروه»(٢).

وأما ما في «**الإحياء**» من الكلام في «**المهلكات**» مثل الكلام على الكبر والعجب، والرياء والحسد ونحو ذلك، فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في «**الرعاية**»، ومنه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود ومنه ما هو متنازع فيه(٣).

كما أن فيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل وموضوعة كثيرة.

خطأ فاحش:

ولعل البعض يظن أن كل ما في هذا الكتاب الموسوم «**بإحياء علوم الدين**» من عيوب إنما هو في الأحاديث الواهية التي استدل بها وروجها وأن تخريج العراقي عليه يجعل الكتاب صالحًا للانتفاع به والقراءة فيه

---

(١) «الإفادات والإنشادات» (٤٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/٣١٩).

(٣) «زوابع في وجه السنة» (٣٩١-٣٩٢).

وانتهى الأمر ونسي هذا وأمثاله أن هذا الكلام إن كان في كتابه صالحًا فكيف وفيه من السموم ما هو كاف أن يفسد البلاد والعباد من جنس كلام الباطنية وأهل الإلحاد والإتحاد- ولا ننكر ففيه نفع ولكن ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (فاجتنبوه).

فنقول لهؤلاء: اتقوا الله واخشوا يومًا تقفون فيه بين يديه، حيث لن تنفعكم جذباتكم، ولا شيوخكم الذين يوصلونكم إلى جذباتكم.

يا هؤلاء! إن الأخذ جهلًا بالحديث الموضوع، يمكن أن يكون معه عذر الجهل، أما الأخذ به بعد تخريجه ومعرفة وضعه، فهو الشرك الأعظم.

والأخذ بالأحاديث الضعيفة بعد معرفة ضعفها هو طريق يؤدي في النهاية إلى الضلال[١].

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

«أنا مزجى البضاعة في الحديث»!!

هكذا يقول الغزالي عن نفسه، ويعترف بأن بضاعته في الحديث مزجاة!

ولذا قال السبكي -مع شدة تعصبه للغزالي- : «والغزالي معترف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة» ونقل عن ابن النجار أن الغزالي لم يكن له إسناد ولا طلب شيء من الحديث ولم أر له حديثًا واحدًا[٢].

---

(١) «الأستاذ أبو الحسن الندوي» لصلاح مقبول (٩٣).

(٢) انظر «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (٧، ٨).

وهذا يعلل لنا ما شحن به الغزالي مؤلفاته -خاصة الإحياء- من الأحاديث والآثار الضعيفة والواهية، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وأبو حامد ليس له من الخبرة بالآثار النبوية والسلفية ما لأهل المعرفة بذلك، الذين يميزون بين صحيحه وسقيمه، ولهذا يذكر في كتبه الأحاديث والآثار الموضوعة والمكذوبة ما لو علم أنها موضوعة لم يذكرها**».

ويقول عنه الإمام الذهبي حامل لواء أهل الجرح والتعديل في سير أعلام النبلاء[١] «**ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنة النبوية القاضية على العقل**» ويقول ابن كثير «**وهو -أي الإحياء- كتاب عجيب يشتمل على علوم كثيرة وغرائب ومنكرات وموضوعات**»[٢] ويقول المازري «**وفيه الكثير من الآثار عن النبي ﷺ لفق فيه الثابت بغير الثابت**»[٣] وقال أيضًا «**وفي الإحياء من الواهيات كثير..**»[٤]. ويقول الطرطوشي «**شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله فلا أعلم كتابًا على بسيط الأرض أكثر كذبًا منه**»[٥].

قال السبكي في طبقات الشافعية[٦] في ترجمة الغزالي: «**وهذا فصل جمعت فيه ما قد وقع في كتاب «الإحياء» من الأحاديث التي لم أجد لها إسنادًا**»، ثم

(١) (١٩/ ٣٢٣-٣٢٤).
(٢) «البداية» (١٢/ ١٧٤).
(٣) «السير» (١٩/ ٣٣٠).
(٤) «السير» (١٩/ ٣٤١).
(٥) «السير» (١٩/ ٣٣٤).
(٦) (٦/ ٢٨٧).

شرع في سردها . وقد قمت بعدها فبلغ العدد : (٩٢٣ حديثًا) ا.هـ[١] .

هل يبقى الإحياء بعد كلام هؤلاء الأعلام وبعد وجود هذا الكم الهائل من الضعاف والموضوعات والمناكير والأباطيل في محتوياته مصدرًا ومرجعًا وكتابًا قيمًا يرجع إليه .

فهذا دليل على قصر باع الغزالي في السنة والتي لا فقه ولا علم ولا فهم لدين الله إلا بها فهي مبينة لما أجمل فيه وأشكل ومقيد لما أطلق وعمم قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢] وقد اعترف بذلك بل هذه اعترافات الغزالي بنفسه أنه لم يكن له علم بالحديث، وهذه اعترافات الذين عاصروه ، وهذه اعترافات الخبراء بأخباره وسيرته وترجمته

(١) وقد خرج أحاديث الإحياء كلها الحافظ أبو الفضل عبدالرحيم العراقي المتوفى سنة (٨٠٦هـ) في كتاب سماه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار وهو مطبوع مع الإحياء ، وقد عزا كل حديث إلى مصدره ، وأبان عن درجة كل واحد منها ، وكثير منها حكم عليه بالضعف أو الوضع ، أو أنه لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ ولمحمد أمين بن علي بن محمد السويدي العراقي كتاب «أسماء الموضوعات في الإحياء» أو «الاعتبار في حمل الأسفار» قام علي رضا بن عبدالله بن علي رضا بدراسة وتحقيق للكتاب . كما ألف علي رضا المذكور رسالة أسماها «الأخبار بما فات من أحاديث الاعتبار» وهي استدراك كما أن هناك كتاب قيم في موضوعه بعنوان «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» للعراقي وابن السبكي والزبيري استخراج أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد يقع في سبعة أجزاء ، فليحذر الكتاب والخطباء والمدرسون والوعاظ من تناول ما في الإحياء من الأحاديث والاستشهاد بها ما لم يتبينوا صحتها من تخريجات الحافظ العراقي ، فقد قال محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني : لا يجوز إسناد حديث لرسول الله ﷺ إلا إذا نص على صحة هذا الحديث حافظ من الحفاظ المعروفين ، فمن قال : قال رسول الله ﷺ وهو لا يعلم صحة ذلك من طريق أحد من الحفظ يوشك أن يصدق عليه حديث «**من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**» أنظر مجلة الهداية الإسلامية (٨/ ٢٦٤) .

(٢) سورة النحل آية : (٤٤) .

ومصنفاته، والكل يجمع على أن الغزالي لم يتلق الحديث ولا درسه إلا بعد أن فرغ من هذه المصنفات التي ملأت الدنيا، وفي آخر عمره اهتدى لدراسة السنة وأقبل على «**الصحيحين**» و«السنن»، ولحقه الندم على خوضه فيما ليس متصلًا بالسنة، بل هو مضاد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولعل الله تعالى يقبل توبته ويسامحه على ما أفسد من عقائد المسلمين.

وليت محبي الغزالي يقفون على هذه النصوص ويعلمون أن الغزالي كان يجهل الأساس من علوم الدين باعترافه بنفسه وبشهادة من يثق بعلمه وخبرته؛ فكيف يسمى كتابه «إحياء علوم الدين» وهو في هذه المنزلة التي لا تهيؤه لدراسة علوم الدين واستيعابها لنفسه، فضلًا عن التأليف فيها، واختيار أكبر عنوان، لا يصدق إلا على «صحيح البخاري» ومثله ممن أحيا الله بهم علوم الدين.

وقد تقدم أن خاتمة أمره كانت في الإقبال على الحديث ومجالسة أهله.

والإحياء مليء بانحرافات وزلات لا يقرها شرع ولا يقبلها عقل ولا يجوز أن نمر عليها دون ذكر.

وإليك أقوال بعض العلماء:

١- يقول أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤) والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف العظيمة غلا في طريقة التصوف وتجرد لنصرة مذهبهم وصار داعية في ذلك وألف فيه تواليفه المشهورة (أي الإحياء) أخذ عليه فيها مواضع وساءت به ظنون أمة والله أعلم

بسره ونفذ أمر السلطان عندنا وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل ذلك» ا.هـ[١].

٢- وقال عنه محمد بن علي المازري (ت ٥٣٦) . . . بعد أن أثنى عليه ثم يستحسنون أي: بعض المالكية -من رجل- (أي: الغزالي) فتاوى مبناها على ما لا حقيقة له وفيه كثير من الآثار عن النبي ﷺ لفق فيه الثابت بغير الثابت وكذا ما أورد عن السلف لا يمكن ثبوته كله وأورد من نزغات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يحل موقعه لكن مزج فيه النافع بالضار كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها وإن أخذت معانيها على ظواهرها كانت كالرموز إلى قدح الملحدين . . .» . ا. هـ[٢].

ذكر كلامه عنه الذهبي وقال: «ولصاحب الترجمة تأليف في الرد على الإحياء وتبيين ما فيه من الواهي والتفلسف أنصف فيه رحمه الله»[٣] يسمى «الكشف والإنباء في الرد على الإحياء».

٣- يقول الإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (٢٥٠هـ) صاحب كتاب الرد على الإحياء وهو يصف الغزالي: «شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ فلا أعلم كتابًا على بسيط الأرض أكثر كذبًا منه ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل إخوان الصفاء» وهم قوم يرون النبوة مكتسبة وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق[٤].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٣٠).
(٣) (٢٠/ ١٠٧).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٣٤).

وقال «فقد رأيته وكلمته فرأيته رجلًا من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم، وممارسة العلوم طول زمانه. ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ودخل غمار العمال. ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد ينسلخ من الدين، فلما عمل (الإحياء) عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات»(١). ثم قال بعد كلام طويل [.... فإن كان الرجل يعتقد ما سطره في كتابه لم يبعد تكفيره وإن كان لا يعتقد فما أقرب تضليله](٢).

٤- وقال فيه تلميذه ابن العربي المالكي [شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع](٣).

٥- ومن جملة ما قاله الإمام ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ) في أبي حامد الغزالي: «ولم يلتزم مذهبًا من المذاهب في كتبه، بل هو مع الأشعرية أشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف» ا.هـ(٤). له كتاب تهافت التهافت في الرد على الغزالي.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٣٩).
(٢) «الإحياء» (١٩/ ٤٩٥).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٣)
(٤) «وقفات مع إحياء علوم الدين» لعبد الرحمن دمشقية (ص١٣١-١٣١).

٦- وقال عنه أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)
وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال (إن المراد بالكواكب والقمر والشمس اللواتي رآهن إبراهيم ﷺ أنوار هي حجب الله ولم يرد هذه المعروفات وهذا من جنس كلام الباطنية» ا.هـ[١].

ولابن الجوزي رحمه الله كتاب سماه «**إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء**» ولابن الجوزي فيه كلام عن الإحياء حيث قال: فاعلم أن في كتاب «الإحياء» آفات لا يعلمها إلا العلماء، وأقلها الأحاديث الباطلة والموضوعة والموقوفة، وقد جعلها مرفوعة، وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افتراها، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع، والاغترار بلفظ مصنوع.

وكيف أرتضي لك أن تصلي صلوات الأيام ولياليها، وليس فيها كلمة قالها رسول الله ﷺ؟!

وكيف أوثر يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب إلى العمل به مالا حاصل له في الكلام في الفناء، والبقاء، والأمر بشدة الجوع، والخروج إلى السياحة في غير حاجة، والدخول في الفلاة بغير زاد، إلى غير ذلك مما قد كشفت عن عواره في كتابي المسمى بـ«تلبيس إبليس».

وسأكتب لك كتابًا يخلو عن مفاسده ولا يخل بفوائده، أعتمد فيه من

(١) «تلبيس إبليس» (١٨٦).

النقول الأصح والأشهر، ومن المعنى الأثبت والأجود، وأحذف ما يصلح حذفه وأزيد ما يصلح أن يزاد[١].

٧- قال صاحب كتاب «نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان»[٢]: «إن كتاب إحياء علوم الدين» لما وصل إلى قرطبة تكلموا فيه بالسوء وأنكروا عليه أشياء لا سيما قاضيهم ابن حمدين فإنه أبلغ في ذلك حتى كفر مؤلفه وأغرى السلطان به واستشهد بفقهائه فأجمع هو وهم على حرقه، فأمر علي بن يوسف بذلك بفتياهم فأحرق بقرطبة على الباب الغربي في رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتًا بمحضر جماعة من أعيان الناس ووجه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتوالى الإحراق على ما اشتهر عنه ببلاد المغرب في ذلك الوقت[٣].

٨- ومما يدل على عدم خلوه من البدع قول الإمام النووي[٤]. وغيره: «لا يغتر بذكر هذه الصلاة في (قوت القلوب) و(إحياء علوم الدين) ونحوهما، فإنها بدعة باطلة» يعني صلاة الرغائب.

٩- وقال الإمام الذهبي عن الإحياء: «أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية نسأل الله علمًا نافعًا» ا.هـ[٥].

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة (١٦-١٧).

(٢) لابن القطان.

(٣) «المعيار المعرب» (١٢/ ١٨٥).

(٤) «فتاوى الإمام النووي» (٢٦).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٤٠-٣٤٢).

وقال أيضًا [وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزال الأقدام][١].

وقال أيضًا: [قد ألف الرجل في ذم الفلسفة «التهافت» وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنًا منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا» وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين لتلف].

وقال أيضًا [ولأبي الحسن بن سكر رد على الغزالي في مجلد سماه «إحياء ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء».

وقال أيضًا أبو عمرو بن الصلاح «المحدث المعروف» (٦٤٣هـ). [فصل لبيان أشياء مهمة أنكرت على أبي حامد ففي تواليفه أشياء لم يرتضها أهل مذهبه من الشذوذ[٢]].

١٠- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما ما في «الإحياء» من كلام في المهلكات مثل: الكلام على الكبر، والعجب، والرياء والحسد، ونحو ذلك، فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في «الرعاية» ومنه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود، ومنه ما هو متنازع فيه!.

و«الإحياء» فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٧).
(٢) «انظر مقدمة المستصفى» (٥) وغيره.

معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًا للمسلمين و ألبسه ثياب المسلمين.

وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه وقالوا: مرضه «الشفاء» يعني «شفاء» ابن سينا في الفلسفة.

وفيه أحاديث وآثار ضعيفة بل وموضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم.

وفيه- مع ذلك- من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعماق القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه» انتهى كلامه رحمه الله(١).

وقال رحمه الله في موضع آخر «وكلام أكثر الناس في هذا الباب ونحوه على درجات متفاوتة فيحمد كلام الرجل بالنسبة إلى دونه وإن كان مذمومًا بالنسبة إلى من فوقه إذ الإيمان يتفاضل وكل من له من الإيمان بقدر ما حصل له منه ولهذا كان أبو حامد مع ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم وغير ذلك ومع ما يوجد به من أشياء صحيحة حسنة بل عظيمة القدر نافعة يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية وأمور أضيفت إليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة المخالفة للنبوة بل المخالفة لصريح العقل»(٢).

---

(١) «كتاب إحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين» (٦-٧).

(٢) انظر: «شرح الأصبهانية» لابن تيمية.

ولما نقل رحمه الله قول الغزالي عن الفلاسفة وتأويلاتهم رد عليهم الغزالي بالمكاشفة والمشاهدة قال ابن تيمية رحمه الله على رده بقوله «هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة وهذا إصلان للإلحاد فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات»(١) وله رحمه الله كلام في مجموع الفتاوى(٢) في معرض كلامه في الصفات والأسماء ونقضه كلام الفلاسفة.

هذا ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في وصف الإحياء وهو وصف دقيق لمحتوياته ويشمل ما لها وما عليها وهذا من كمال أصالته وغاية إنصافه حتى مع من يخالفه في الرأي ويختلف معه في كثير من الأمور.

١١- وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٩٢هـ): وأسمعتهم ما في «الإحياء» من التحريفات الجائرة والتأويلات الضالة الخاسرة، والشقائق التي اشتملت على الداء الدفين والفلسفة في أصل الدين... وقد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها- (أي: في مباحث «الإحياء») ومطالعة خافيها وباديها.

بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة وسماه كثير منهم

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٤٧).
(٢) (١٧/ ٣٦٢).

«**إماتة علوم الدين**»[١]، وقام «**ابن عقيل**» أعظم قيام في الذم والتشنيع وزيف ما فيه من التمويه والترقيع، وجزم بأن كثيرًا من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل. ا.هـ[٢].

١٢- **محمد ناصر الدين الألباني** (معاصر).

قال حفظه الله- في معرض كلامه عن نسخه كتاب «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار» في بداية حياته العلمية وتعليقاته عليه:

«وقد تأثرت [بـ «إحياء»] الغزالي كثيرًا فيما يتعلق بالأخلاق والإخلاص والبعد عن العجب والغرور بسبب الأبواب والفصول التي وجهت إلى قراءتها بقضاء الله وقدره، وحينما كنت أنسج منه الأحاديث التي خرجها الحافظ العراقي فكان ذلك يحملني- في كثير من الأحيان – أن أقرأ الفصل الذي ساق فيه الغزالي تلك الأحاديث، فانتفعت به انتفاعًا كثيرًا، ولكني- والحمد لله- لم أتأثر بصوفياته وملهماته وتأويلاته التي أبعدت به عن مذهب السلف في كثير من الأفكار والعقائد كإنكاره الاستواء، وقوله بأن الله يكلف عباده ما لا يطيقون، ونحو ذلك مما انجرف إليه بانغماسه في علم الكلام وشطحات الصوفية».

وقال في «**سلسلة الأحاديث الضعيفة**»[٣].

---

(١) وسماه بعضهم بإعياء علوم الدين.

(٢) القول المبين في التحذير من كتاب «إحياء علوم الدين» (٤٣-٤٤) باختصار.

(٣) (١٨/١).

«وكم في كتاب «الإحياء» من أحاديث جزم بنسبتها إلى النبي ﷺ وهي مما يقول الحافظ العراقي وغيره فيها لا أصل له» .

١٣- قول محمد أحمد لوح في كتابه «**تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة**»[١] لما نقل كلام بعض العلماء فيه قال : وبعد : فهذا هو فكر أبي حامد الغزالي الذي انتشر بين الأنام فكر متناقض يجد فيه كل خرافي مبتدع ما يسند به مذهبه ، وكل مدافع عنه ما يدلل به على أنه كان يدعو إلى السنة .

والحق الذي لا يتجه غيره هو أن في مؤلفاته الموجودة بين أيدينا من تقريرات لعقائد غلاة الصوفية ما من شأنه أن يضل من لا قدم له ولا علم بحقيقة تلك المباحث ، اللهم إلا من وفقه الله لدراسة الكتاب والسنة على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة ومن اهتدى بهديهم .

ولا ريب أن فكره الذي وافق فيه البسطامي والحلاج أوجد أرضًا ممهدة لإقامة بنيان وحدة الوجود السافرة على يد ابن الفارض وابن عربي والتلمساني وغيرهم حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «**وهذا الكتاب -يعني [مشكاة الأنوار] كالعنصر لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود**»[٢] .

(١) وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة في الدراسات العليا- بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية- ومنح بها درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع الإيصاء بطبع الرسالة وتداولها (٥١٧-٥١٩) ولتتم الفائدة انظر : (٤٩٤-٥١٩) .

(٢) «بغية المرتاد» (١٨٩) .

وقال أيضًا وبسبب كلام الغزالي في [مشكاة الأنوار] تشجع الاتحاديون الملحدون الذين قالوا بوحدة الوجود على ذلك، كقولهم: إن الخلق مجال ومظاهر، لأن وجود الحق ظهر فيها وتجلى»(١).

وفطن بعض الباحثين المحدثين من المستشرقين وغيرهم إلى ذلك فيقول نيكولسون: «**إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية**»(٢).

١٤- وزعم من زعم أن الغزالي رأى النبي ﷺ في المنام وأنه ﷺ استحسن كتابه الإحياء(٣) وأثنى عليه فرد على هذه الفرية عبد الرحمن دمشقية في كتابه «**وقفات مع كتاب الإحياء**» بقوله: الشاهد الأكبر على كذب الرؤيا أن الإحياء نفسه فيه من الأباطيل التي لا يقول بها ولا يقرها أجهل الناس بالإسلام فكيف بالنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه أيقبل بهذه الشطحات والمخالفات(٤):

أيقر رسول الله ﷺ قول الغزالي- فيما ينقله عن أبي تراب النخشبي-: «**لئن رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة**»(٥)؟ أم هل يقر قول الغزالي فيما ينقله عن أبي يزيد لأحد أعيان

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/ ٢٨٣).

(٢) «التصوف الإسلامي وتاريخه» (١٠٤).

(٣) «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» (٥/ ٥-٦)، «ملحق بالإحياء وطبقات الشافعية» للسبكي (٤/ ١٣١-١٣٢) وتقدم ذكر هذه الرؤى.

(٤) وقفات مع كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي لعبد الرحمن دمشقية، انظر: من هذا الصفحات: (٩، ١٠، ١١، ١٢، ٢٠، ٢٨، ٣٦، ٤٧، ٨٨، ١٣١).

(٥) «الإحياء» (٤/ ٣٧٥).

بسطام: «قولك سبحان الله شرك لأنك سبحت نفسك فعظمتها وما عظمت ربك»(١)؟

أيقر ﷺ في الإحياء ما يقارب الستمائة حديث بين ضعيف موضوع- بل أكثر؟!!

أيقر ﷺ قول الغزالي في آداب الخلوة: «ويخلو بنفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يقرن همه بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا يكتب حديثًا»(٢)؟

أم يقر قوله «أحب للمريد المبتدئ أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغيرت حاله التكسب، وطلب الحديث، والتزوج» وقال «أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه»(٣).

أيقر ﷺ قوله «القلوب وإن كانت محترقة بحب الله تعالى فإن البيت الغريب [من الشعر] يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن» وقوله: «اعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن لوجوه عديدة»؟

أيقر ﷺ قول الغزالي:

«وما حكي من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر»(٤)؟.

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٣٧٧).
(٢) «الإحياء» (٣/ ٢١).
(٣) «الإحياء» (٤/ ٢٥٣).
(٤) «الإحياء» (٣/ ٢٨).

«إن في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية، يُعبر عنها بالملائكة، منها تفيض الأنوار على الأرواح البشرية، ولأجلها تسمى أربابًا، فيكون الله رب الأرباب لذلك»(١).

«إن لله تعالى عبادًا تطوف بهم الكعبة تقربًا إلى الله ﷻ»(٢).

«... فاعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن من سبعة أوجه»(٣).

«اعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا للذاهب إلى ﷻ».

«إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا».

وقال متهمًا الله بالظلم: قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة ا.هـ(٤).

ثم أن ما في الأحياء من الشطحات ليس سببه زلة قلم، ولا مجرد خطأ، إذ أن هذه الطامات الموجودة في الإحياء منكرة ينكرها الجاهل بفطرته فما بالك بالعالم الذي لُقب «حجة الإسلام» ألا يكون من باب أولى أن يعلم أستاذ المدرسة النظامية وحامل لواء العلم والتعليم في بغداد ونيسابور ودمشق أن أقوال البسطامي والنخشبي وابن عربي وابن الفارض السالفة كفر بواح؟ أيليق بأبي حامد رحمه الله أن يثني على أصحاب هذا الكفر

(١) «مشكاة الأنوار» (٢٨).
(٢) «الإحياء» (١/ ٢٨٩).
(٣) «الإحياء» (٢/ ٣٢٥).
(٤) «الإحياء» (٤/ ١٧٧).

بقوله «**فهذه أوائل سلوك القوم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الأتقياء من الناس**»؟!!

أقول: وإليك نبذًا من هذه الشطحات غير ما تقدم ذكره منها قوله: «**واطو الطريق فإنك بالوادي المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سردقات العرش تنادى بما نودي به موسى (إني أنا ربك)**»(١).

ويروى عن البسطامي قوله «**قولك سبحان الله شرك**»(٢) علق ابن الجوزي على هذا الكلام بقوله وهذا فوق الجنون بدرجات(٣).

وتكرر قوله كثيرًا بأنه «**ليس في الوجود إلا الله وأفعاله**»(٤).

كما قسم الغزالي التوحيد عند الصوفية الذي يعتقده إلى أربع مراتب:

الأولى: أن يقول الإنسان بلسانه: لا إله إلا الله.

الثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ بقلبه، كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

الثالثة: أن يشاهد بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين.

الرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحدًا، فلا يرى نفسه أيضًا، وهو

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٢٦٧).
(٢) «الإحياء» (٤/ ٣٧٧).
(٣) «تلبيس إبليس» (٣٥٤).
(٤) «الإحياء» (١/ ٣٣٩) و(٤/ ٩١، ٩٢).

مشاهدة الصديقين، كما تسميه الصوفية، ولأنه من حيث أنه لا يرى إلا واحدًا فلا يرى نفسه أيضًا(١).

ومن أقواله التي تظهر انحرافه عن منهج النبوة قوله «**وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار فمثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشهد جلال الحضرة الربوبية**»(٢).

ومن أقواله الساقطة قوله «ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ولكن فرعون وجد له مجالًا وقبولًا فأظهره»(٣).

ونقله عن بعض العارفين «**إفشاء سر الربوبية كفر**» وقول بعضهم «**للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام**»(٤) قال الذهبي قلت سر العلم قد كشف لصوفية أشقياء فحلو النظام وبطل لديهم الحلال والحرام(٥).

ومنها قوله «وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلًا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا تدوين»(٦).

---

(١) انظر: «الإحياء» للغزالي (٤/ ٢٦٢) وما بعدها.
(٢) «الإحياء» (٣/ ٨٢).
(٣) «الإحياء» (٤/ ٧٣).
(٤) «الإحياء» (١/ ١١٩)، و«الإملاء على إشكالات الإحياء» (٥/ ٤٦، ٤٧)، وانظر: «فجر الساهد» (١٠٨).
(٥) «السير» (١٩/ ٣٢٧).
(٦) «الإحياء» (٣/ ٢٧).

ومنها قوله «من تزوج فقد ركن إلى الدنيا»(١) .

١٥- أما عمرو عبدالمنعم سليم فقد ذكر تحت عنوان اعتقاد أبي حامد الغزالي ما نصه [وأما أبو حامد الغزالي فغارق في بحور التأويل، بل التعطيل في الصفات، وفيه اعتزال، بل وتجهم، وانظر إن شئت أيسر كتبه: «**المستصفى في أصول الفقه**»، فإنه قد بدأه بتقديم العقل على النقل، وثناه بأن القرآن حكاية، وأن كلام الرب معنى قائم بذاته، تعالى الله عن هذه المقالة علوًا كبيرًا .

وأما كتابه المشهور: «**إحياء علوم الدين**» فهو فيه غارق في بحور التصوف، مكثر فيه من الواهيات والموضوعات والذوقيات، والرجل مسكين في الحديث، بضاعته فيه مزجاة .

ثم تمم البلية، فخاض غمار الكلام، فهي بضاعة كل مفلس وصناعة أهل الأهواء والبدع وقد أجمع أهل العلم على ذمه، ووجوب ترك تعلمه، أو الخوض فيه .

قال الذهبي:

«**أخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الأقدام**» .

وقال عبد الغافر الفارسي في «السياق»:

«**ومما نقمت عليه ذكره من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتاب**

---

(١) «الإحياء» (٣/ ١٠٩) .

«كيمياء السعادة والعلوم» وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الملة».

فتعقبه الذهبي بقوله:

«ما نقمه عبدالغافر على أبي حامد في الكيمياء، فله أمثاله في غصون تواليفه، حتى قال أبو بكر ابن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع».

ثم أن له وقوع في الصحابة- رضوان الله عليهم- بل وقع في عمر بن الخطاب ﷺ كما في «السير» للذهبي (١٩/ ٣٢٨).

فإن قيل: قد رجع، فأين البرهان، وهذه كتبه ما تبرأ منها، ولا أصلح ما فيها.

وقال أبو عمرو ابن الصلاح -رحمه الله-:

«في تواليفه أشياء لم يرتضها أهل مذهبه من الشذوذ، منها قوله في المنطق: هو مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط به فلا ثقة له بمعلوم أصلًا».

وقد أمر بكتبه فحرقت لما احتوته من ضلالات وشذوذات والعياذ بالله، وقد استفاض الذهبي -رحمه الله- في «السير» في ذكر ما تقشعر له أبدان الموحدين من أخباره، وجمل من كلامه الذي لا يوافق رسم الشرع، فالله يعصمنا من الضلال بالكتاب والسنة(١).

---

(١) «دفاعًا عن السلفية» (٢٢٧، ٢٢٨).

وأسوق الآن ملخص كلام العلماء في المآخذ التي على الكتاب:

١- فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًا للمسلمين وألبسه ثياب المسلمين.

٢- فيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل وموضوعة كثيرة.

٣- فيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم وشطحاتهم.

٤- يستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له.

٥- وجود المباحث الكلامية فيه التي تخالف روح الكتاب والسنة.

٦- فيه تخليط في الأحاديث والتواريخ.

٧- جزم ابن عقيل الحنبلي أن كثيرًا من مباحثه زندقة خالصة.

هذه جملة المآخذ على كتاب «الإحياء» وواحد من تلك المآخذ كفيل بنبذ الكتاب فكيف بها مجتمعة؟؟

أقول ولا يثني على الكتاب كله إلا جاهل بما فيه أو موافق لمشربه ومذهبه نسأل الله السلامة والعافية.

تنبيه مهم:

هذب ابن الجوزي رحمه الله الإحياء وأبقاه على فوائده في كتاب أسماه «منهاج القاصدين» واختصره العلامة ابن قدامة في كتاب أسماه «مختصر منهاج القاصدين» وقد خدم هذ الكتاب علي حسن عبدالحميد تعليقًا وتخريجًا وضبطًا وتقديمًا نبه على أحاديث ضعيفة وأخبار وقصص باطلة إنطلت على ابن الجوزي وابن قدامة رحم الله الجميع كما أن هناك تلخيص آخر للإحياء لجمال الدين القاسمي هو موعظة المؤمنين ويوجد له تهذيب بعنوان «تهذيب موعظة المؤمنين» لمحمود مهدي الاستانبولي . ومحمد عيد عباسي كما خرج أحاديث موعظة المؤمنين ياسر بن محمد عريف أبو منير وقدّم له بمقدمة طيبة يجدر الاطلاع عليها وكلمة حق أن الكتاب بعد الاختصار والتحقيق والتهذيب نفع الله به .

الخاتمة

إن الغزالي قد أفضىٰ إلىٰ ما قدم، فنترحم عليه ونسأل الله له العفو والمغفرة؛ فإنه قد شاع وذاع بين أهل العلم كما -أسلفنا- أن خاتمة أمره كانت الإقبال علىٰ طلب الحديث ومجالسة أهله(١).

وليس لنا تجاه شخصيته إلا أن نقول كما قال الحافظ شمس الدين الذهبي: «فرحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول»(٢).

وقال أيضًا بعد ذكر بعض ضلالاته. [فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلىٰ مولاه في الثبات علىٰ الإسلام وأن يتوفاه علىٰ إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالم يغفر له وينجو إن شاء الله(٣).

وإلا كما قال البحاثة الشيخ عبدالقادر السندي: «إلىٰ دار الخلد -إن شاء الله- يا غزالي بعد ما أغرقت الملايين الملايين من أهل الإسلام في الفلسفة المادية الطاغية، والتصوف الممقوت المخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة، إلا أن رحمة الله أدركتك إن شاء الله في آخر لحظة من حياتك فعليك رحمة الله تعالىٰ وغفرانه إن صح فيك رجوعك»(٤).

---

(١) «بغية المرتاد» (٢٧٩)، «ودرء التعارض» (٦/ ٢١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٥، ٣٢٦).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٤٦).
(٣) «السير» (١٩/ ٣٢٨).
(٤) «التصوف في ميزان البحث والتحقيق» (٣٢٦).

ولنختم هذا الطرف بكلمة قيمة للإمام الذهبي يحسن لطالب العلم والحق أن يقف عندها ويتأملها كثيرًا ليعمل بها، وذلك في كلمة جامعة حول «الإحياء» وما فيه وما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم قال الذهبي:

«أما [الإحياء] ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم زهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علمًا نافعًا تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول ﷺ قولًا وفعلًا ولم يأت نهي عنه، قال عليه السلام: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**[١]. فعليك أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي ورياض النووي وأذكاره تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة ووظائف أهل الرياضيات، ورجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنفية السمحة، فواغاثاه بالله، اللهم اهدنا صراطك المستقيم»[٢].

قال الغزالي في خاتمة كتابه «إحياء علوم الدين»

«ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم، أو طعن به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا».

ونحن ندعو له بما دعا به -غفر الله لنا وله-، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منه حسنها وأن يتجاوز عنه سيئها وأن يرحمه رحمة واسعة.

---

(١) قطعة من حديث متفق عليه: خ رقم (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).
(٢) «السير» (١٩/٣٣٩-٣٤٠).

عظة وعبرة

وأخيرًا نقول : إذا كان الغزالي قد مات وهو تائب عن كل هذه المعتقدات ، ومعتقدًا أن طريقة السلف هي الحق فهذا أمر بينه وبين الله تعالى ، وهو أمر يفرحنا ويثلج صدورنا .

وأما الكتب التي تركها ، فينبغي أن تترك ويُحذر الناس منها أيضًا وإلى هذا أشار الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله حيث قال :

«أبو حامد كثر القول فيه ومنه . فأما هذه الكتب - يعني المخالفة للحق- فلا يلتفت إليها . وأما الرجل فيسكت عنه ، ويفوض أمره إلى الله»[١] .

ويقول المازري : فحقيق أن لا يوثق بكل ما ينقل وأن يظن به التساهل في رواية ما لم تثبت عنده صحته . . ومن لم يكن عنده من البسطة في العلم ما يعتصم به من غوائل هذا الكتاب فإن قراءته لا تجوز وإن كان فيه ما ينتفع به[٢] .

وقد ثبت هذا عن غير واحد من المؤرخين للغزالي ، وأنه أقبل على «الصحيحين» وبقية كتب الحديث ؛ فلماذا ينصح المعاصرون بقراءة كتب الغزالي وقد نسخها بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره بالإقبال على «صحيح» البخاري ومسلم؟! فلماذا لا يكونون مثله ، فينصحون الناس بقراءة البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والتفسير السلفي والعقيدة

(١) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة لأبي بكر خليل الموصلي (١٣٩-١٧٢) .

(٢) «شرح العقيدة الإصفهانية» (١٣٤) .

السلفية وكل ما له صلة بذلك من علم نافع، ويحذرونهم من كتب الدجل والخرافات والفلسفة والمنطق وعلم الكلام، وكل ما فيه مضيعة لدينهم ودنياهم حتى يحفظوا عليهم دينهم، وتستغل أعمارهم وأوقاتهم، لا كما وقع للغزالي، حتى ملأ الأمة ضلالًا، ثم رجع عن ذلك؟!

فينبغي للمعتبر أن يعتبر بالغزالي وأمثاله ممن قضوا حياة طويلة؛ كما وقع لبني إسرائيل الذين تاهوا أربعين سنة عقابًا من الله؛ لأنهم تمردوا على النبوة وعلى علمها؛ فكذلك الناشئة والعلماء إذا لم يتمسكوا بعلم النبوة؛ تاهوا بمثل ما تاه به الغزالي ولو لم يتداركه الله بلطفه الخفي؛ لاستمر على ذلك إلى الممات، ولعل حُسن قصده وحُسن نيته كان سببًا له في الخير، فتداركه الله بلطفه، فتاب ورجع وكره ما كتبه من ضلال.

ومعظم المسلمين لا ينتبهون لهذا؛ فهم متعصبون ومستميتون على هذه الكتب، يدافعون عما فيها من الأخطاء، ويتأولون ما فيها من الكفريات والضلالات، ويعتذرون للمؤلفين بأعذار لا مبرر لها ولا قبول عند من له خبرة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبالمنهاج السلفي الصحيح(١).

وفي نهاية المطاف لهذه الرسالة وما تضمنته من كلام العلماء الصالحين الناصحين أقول:

- ألا يكفي هذا النصح الأمين للمهتمين بنشر الفكر الصوفي في صفوف المسلمين؟.

---

(١) «العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية على مواجهة التحديات» للمغراوي القسم الخامس (١٣-١٤).

- هل أراد هؤلاء الأعلام بتوجيهاتهم إلا الخير لأهل دينهم وملتهم؟

- هل كان بين هؤلاء الأوفياء لدينهم وبين الغزالي عداوة شخصية أو منافسة دنيوية في المنصب والجاه يقول: **القرضاوي** بعد ما أشار إلى دفاع التقي السبكي وابنه التاج عن الغزالي وتصوفاته: «ومما ينبغي أن نسجله هنا: أن الذين انتقدوا الغزالي لم يقمطوا حقه في ما أحسن فيه بل أشادوا بعلمه ونبوغه وفضله مع هذا كله لم يسعهم أن يسكتوا عما يرونه خطأ أو باطلًا من كلام الغزالي نصحًا لله ولرسوله وللمؤمنين فلم يكن بينهم وبين الغزالي محاسدة أو منافسة ولكن ليس في العلم كبير وكل أحد دون رسول الله ﷺ يؤخذ منه ويرد»[١]. أقول: مع أن القرضاوي ممن غلا وبالغ وتجاوز الحد في الغزالي والدفاع عنه ولم ينصف.

- أليس التنازل عن القيام بدعاية «الإحياء» في صالح أبناء هذه الأمة المرحومة؟

- إلى متى يبقى الإحياء... ثروة زاخرة في الدين ومصدرًا قويًا من مصادر الإصلاح والتربية على حد الزاعمين.

- أما آن الأوان بأن ننتبه نحن -المسلمين- أيضًا إلى خطورة الإحياء وقد عرفنا خطره على عقيدة المسلمين[٢].

ولولا خشية الإطالة والمقام لا يسع تفصيله لسردت لك كل كلام أهل العلم في زمانه وبعد زمانه ممن هم كلمة إجماع عند الناس في ذم هذا

(١) «الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه» (٩١-٩٢) باختصار.

(٢) «الأستاذ/ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر» (٩٨) بتصرف يسير.

الكتاب وبيان ما فيه من ضلالات في العقائد والعبادات والأخلاق على أنهم مع ذلك لم يستوعبوا في ردهم كل ما فيه من ميل واستقصاؤها جميعًا مما يصعب على الباحث ولو شئنا تتبع ذلك لكانت مجلدات وما ذكرته في رسالتي هذه إنما هو خلاصة وأراه إن شاء الله فيه كفاية للمقصود وغنية للمستبصر وللاستزادة يرجع إلى المراجع التي ذكرتها بهذه الرسالة . وما ذكرته إنما هو نبذة من حال الغزالي وكتابه الإحياء ليكون المسلم على علم وبصيرة وتبرأ ذمتنا من نصيحة قومنا .

ونسأله تعالى أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع ، ويجعله خالصًا لوجهه . إنه سمع مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المراجع

انظر للاستزادة في الكلام عن الإحياء:

١- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (٤/ ٩٩) (٦/ ٥٤-٥٥) (١٠/ ٥٥١-٥٥٢) (١٧/ ٣٦٢).

٢- سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢-٣٤٦) للذهبي.

٣- العقيدة السلفية في مسيرتها وقدرتها على مواجهة التحديات (القسم الخامس: قسم مواقف السلف، السنة السابعة والثلاثون بعد الخمسمائة، الأسباب الحقيقية لحرق إحياء علوم الدين بأمر الخليفة للمسلمين ابن تاشفين) تأليف محمد عبدالرحمن المغراوي والرجوع إليه مهم جدًا.

٤- القول المبين في التحذير من كتاب إحياء علوم الدين، للشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: عبدالعزيز الحمد.

٥- كتاب إحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين، علي حسن عبدالحميد.

٦- مقدمة تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استخراج محمود الحداد.

٧- كتب أخبار رجال أحاديث تحت المجهر لعبد العزيز بن محمد السدحان (٣/ ١٨-٢١).

٨- الإعلام بذكر المصنفات التي حذر منها شيخ الإسلام في كتابه مجموع الفتاوى، لرائد صبري بن أبي علفة.

٩- الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود عبدالرؤوف القاسم.

١٠- أبو حامد الغزالي والتصوف، تأليف عبدالرحمن دمشقية، دراسة حول العديد من كتب الغزالي وخاصة كتابه الإحياء، وفي هذا الكتاب أثبت رجوع الغزالي إلى عقيدة السلف (ص٣٥٩-٣٧٠) فلينظر لترى العظة والعبرة من رجوع هذا الإمام، كما أنه ألف كتابًا أسماه (إلجام العوام عن علم الكلام).

١١- زوابع في وجه السنة قديمًا وحديثًا تأليف صلاح الدين مقبول أحمد (٣٩١-٤٠٢).

١٢- فجر الساهد وعون الساجد في الرد على الغزالي أبي حامد لعبد السلام محمد عمر علوش.

١٣- تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي تأليف محمد أحمد لوح. (١/ ٤٩٤-٥١٩).

١٤- مؤلفات سعيد حوى، تأليف: سليم الهلالي ص (٣١-٣٩).

١٥- الإمام الغزالي في الميزان السلفي لأبي الفضل عبدالسلام بن محمد بن أحمد.

١٦- مقارنة بين الغزالي وابن تيمية للدكتور/ محمد رشاد سالم.

١٧- غاية الأماني في الرد على النبهاني للدكتور الألوسي (٢/ ٣٦٣-٣٧٤)

١٨- الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر من كتاباته تأليف صلاح الدين مقبول أحمد (٧٣-١٠٠).

الخاتمة

خاتمة

أخي- يا من وقعت ضحية دجل الصوفية- وبعد ما اطلعت على هذه الرسائل الثلاث وموقف أهل السنة والجماعة منهجًا وموقف الصوفية ومنهجها وخطرها وانحرافها؛ ارفض الصوفية حتى مجرد اسمٍ.

أيسرك أن يقال عنك (صوفي) أو يقال عنك (سني) فالأولى لا أصل لها، ولا علاقة لها برسول الله ﷺ وصحبه الكرام البررة.. وما منشؤها إلا ضُلَّال.. وجهلة باطنيون.

والثانية: تنسب إلى رسول الله ﷺ مباشرة بقوله «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»(١) وقوله ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»(٢).

وكن لسنة خير الخلق متبعًا ... فإنها لنجاة العبد عنوان

***

يا أيها السني خذ بوصيتي ... واخصص بذلك جملة الإخوان

---

(١) «أبو داود» (٤٦٠٧)، «الترمذي» (٢٦٧٦).

(٢) «البخاري» (٩/٥٠٦٣) فتح، «مسلم» (٢/١٤٠١).

أما إذا رغبت أخي الشاب في الخلاص من هؤلاء الضلال، وكشف زيفهم وخداعهم فما عليك إلا تطلب العلم الشرعي على أيدي علماء السلف الصالح رحمهم الله . . . فتكون من المهتدين .

فما رأيك؟

فاختر :

فإما ضلال الصوفية وشركها !!

أو هدي السنة الصحيحة وإيمانها!!![١] .

«وبهذه المناسبة يسرني أن أنبه إلى بعض العوام في هذا الزمن صار يطلق كلمة صوفي على المتدين المواظب على شرائع الدين فإذا رأوه إنسانًا يعتاد المسجد قالوا فلان صوفي، وهذا خطأ، وإنما يُسمى عابدًا ومتدينًا ومتمسكًا كما قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] . فسماهم عابدين وسماهم في أكثر من آية عُباد ولم يسمهم صوفية . فينبغي للمسلم أن يتمسك بألفاظ الشريعة، ولا يغتر بالألفاظ المستوردة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وسلم»[٣] .

---

(١) «الصوفية بدع وضلال» لشريف محمد بن حسين الحارثي (٤٢-٤٣) .

(٢) سورة التوبة آية : (١١٢) .

(٣) «التصوف» لعبد القادر بن حبيب الله السندي (٤) .

أخي وحبيبي : لم تصم أذنك وتغمض عينك وتُغلق فطرتك وتُغطي عقلك عن القراءة لهذه الرسائل ، ما المانع أن تطلع وتقرأ ، فإن صلح ورأيته موافقًا للكتاب والسنة اللذين تتعبد الله بهما فخذه وإلا فلا يضيرك معرفة كلامه شيئًا .

فأزل ما بأذنك من كرسف واعرض ما قلدت فيه الغير على الوحيين تخرج بكل فضيلة وخير ولا تقل كما قال الظالمون : ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾(١) . وقال ﷻ : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(٢) .

لا تكن كمسلمة الدار وكن كمسلمة الاختيار على بينة وهدى وبصيرة ونور من الله تعبد ربك ومولاك ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٣) .

أخي وحبيبي : اقرأ الرسائل التي بين يديك مرارًا وتكرارًا - من فاتحتها إلى خاتمتها- وانظر إلى الأدلة التي ذكرناها ، لعلها تحرك ساكنًا وتبعث يقظة وتنبه غافلًا وتعلم جاهلًا .

---

(١) سورة الزخرف آية : (٢٢) .
(٢) سورة الزخرف آية : (٢٣) .
(٣) سورة الزمر آية : (٢٢) .

وأنت ولله الحمد عندك تمييز ومعرفة وعقل وإدراك . وأنت أنت طالب علم ، أنت لست حاطب ليل يأخذ ما هب ودب ، بل لا تأخذ إلا ما صفا وبالكتاب والسنة وفهم الصحابة وصف .

ولقد كان علماؤنا رحمهم الله يحثون على قراءة النافع من المصنفات ويحذرون من المصنفات التي تكثر فيها الواهيات لا سيما كتب أهل البدع والضلال فاختر لنفسك كتبًا سليمة من الشوائب واسأل الله أن يهديك سبيل الرشاد .

كتب مقترحة لتصحيح العقيدة

١- كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٢- كشف الشبهات في التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٣- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٤- العقيدة الصحيحة وما يضادها، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٥- التحذير من البدع، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٦- الأجوبة المفيدة عن بعض مسائل العقيدة، لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز.

٧- فتاوىٰ مهمة تتعلق بالعقيدة، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٨- عقيدة أهل السنة والجماعة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٩- كيف نفهم التوحيد، لمحمد أحمد باشميل.

١٠- اعترافات كنت قبوريًا، للأستاذ عبد المنعم الجداوي.

• تنبيه: وإنا لنطالب دور النشر التي تتولىٰ طبع مؤلفات المبتدعة وتحقيقاتهم وتعليقاتهم أن تتقي الله ﷻ في أمة محمد ﷺ وأن تكف وتتوقف وتتوب إلىٰ الله وأنها ستوقف بين يدي الله ﷻ في يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، ولله در القائل:

ولا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وليعلم أصحاب المكتبات الذين يبيعون كتب أهل البدع أنهم مأزورون غير مأجورين، ولهم حظ وافر من الإثم؛ لإعانتهم على نشر العقائد الفاسدة، وقد قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1]. والذي يبيع كتب المبتدعة هو ممن يعين على الإثم والعدوان، فليستيقظ السني من غفلته ولا يفتح مجالًا لأهل البدع يبثون بدعهم وعقائدهم الفاسدة في عقر داره[2].

واختم هذه الرسائل المباركة وختامه مسك بما ختم العلامة بكر أبو زيد رسالته التي بعنوان «**الرد على المخالف من أصول الإسلام**»[3].

حيث قال: من أبحاث هذا «**الأصل الملي**» العظيم، يمكن تصنيف الخلاصة الآتية:

أولا: إعلام المسلمين بما يلي:

١- أن «**الرد على المخالفين**» من أهل الأهواء، وغيرهم: وظيفة شرعية، من مهام علماء المسلمين؛ لحراسة الملة، والذب عنها، وعن أعراض أهلها.

٢- وأنه واجب كفائي معلوم بالضرورة.

---

(١) سورة المائدة آية: (٢).

(٢) كثيرًا من دور النشر إذا أرادوا نشر كتاب ذهب مندوبهم إلى العلماء السلفيين- والحمدلله وهم معرفون بحمد الله- لكي يستشيرهم في هذا الكتاب، وهذا أمر في غاية الأهمية، وهو ما تفعله (الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)- وفقهم الله وسدد خطاهم، وبعض دور النشر في المملكة).

(٣) (٨٥-٨٩).

٣- وأن الشريعة حفت هذا «الواجب» بشروط وآداب كما في «المبحث الرابع» منه .

ومن أهمها تنزيل الأحكام على الأقوال ، والأفعال ، لا على الأشخاص إلا بعد يقين .

ثانيا : إعلام أهل السنة والجماعة بما يلي :

١- أن أهل السنة والجماعة هم قوام الأمة ؛ لتخلصهم من البدع والأهواء ، فهم نقاوة المسلمين ، ونجمها الوهاج .

٢- أن علماءهم : مرصدون ، لحفظ الدين ، وحراسته من أهواء المخالفين وشهواتهم .

٣- أن العالم العامل : يرصد الأحداث ، ويقدرها ، ويقومها سواء كانت مكتوبة أو مسموعة أو مرئية .

فإذا احتوى الحدث ، وتصوره على وجهه الواقع ، ورأى في محتواه : مخالفة مذمومة ، برز إلى المكاشفة : فيقول ، وينشر ، ويكتب ، ويعلن ، مجاهدًا بلسانه ، وقلمه ، حتى تعود المنقصة أدراجها على أعقابها ويرد كيدها عن المسلمين .

ثالثا : إعلام «طريد أهل السنة» من كل مبتدع ومساء بالآتي :

١- أن رد بدعته ، وملاحقتها ، حتى يجهز عليها ، ويكف بأسها عن المسلمين : من قواطع الأحكام في الإسلام ، منتظم العقد في حياة علماء أهل السنة .

٢- وأن الرد عليه ، والتحذير من داعية الهوى : فيه نصح له ولعموم المسلمين .

رابعًا: إيقاظ من تلبس بترك المخالفين من المبتدعة، وغيرهم: يتجولون في صلابة جبين، وتنبيه المخذلين لعباده المصلحين، بما يأتي:

١- أن حجب أنوار الإسلام في أطواء الظلام، يكمن في أخاديد الصمت، وشقوق التخذيل.

٢- وأن السكوت أبدًا عن رد الباطل: إثم، من جهتين، في السكوت، وفي مظاهرة المبطل، بالسكوت عنه.

٣- وأن «التخذيل»: منقصة في حكم الإسلام، وأن المخذل آثم من تلك الجهتين مع إثم التخذيل.

خامسا: تصحيح المفاهيم وتحديدها، لهذه الألفاظ الثلاثة: «رد العالم للمخالفة» كالآتي:

١- تحديد مفهوم المخالفة المذمومة محل البحث، وهو مخالفة الشريعة من أي وجهٍ، بداع من شبهة، أو شهوة، أو شذوذ...

٢- المفهوم الموسع للرد شرعًا، فليس كما يفهمه البعض من قصره على الإبطال، والتنديد بكتاب، أو رسالة، بل أعم من ذلك، فيكون: مكاتبة وكتابة، ومشافهة، وإيقاع طرف من العقوبات الشرعية كالنفي، والإبعاد، وإحراق الكتاب، ومنعه من الدرس، وسوقه إلى القضاء؛ لينال أدبًا يردعه ويزجره.

وبهذا نستفيد، أن هذا من العلماء يكتب، وهذا يقول، وإن الساكت من العلماء عن هذين الواجبين، قد يكون كون له جهد عظيم في إضعاف البدعة، ومحاصرتها وقمع حاملها، بأي من مسالك الرد الشرعية.

٣- العلماء قدرات : وكل يزاول ما يحسن ، حسب قدرته ، فهو على ثغر يحميه من أي عدوان عليه .

فعالم يرد على ملحد . وآخر على صاحب بدعة خفيفة ، وثالث على صاحب فسوق ، وآخر يرد على رأي شاذ . كل هذا حسب القدرة والتأهيل .

وهذا يكسب اجتناب المقولة الساذجة : فلان يرد على شذوذ فقهي ، ويترك الملحدين ، فلماذا لا يرد عليهم؟ وهكذا . . .

سادسا : وأذيل هذه الخاتمة بالتذكير بما يلي :

١- على العلماء رفع التكبيرة الأولى في الميدان هاتفة بإحياء هذا الواجب الجهادي الدفاعي عن الدين الإسلامي برد كل مخالفة بشبهة ، أو شهوة ، أو شذوذ . وهذا غاية في سلامة الصف الإسلامي ، وتوحيده ، ووحدته ، وكف عوامل التصدع من الداخل ، وإثارة الغبار عليه من الخارج ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الآية .

٢- على كل مسلم موحد : النهوض بالحقوق الشرعية عليه ، للعلماء العاملين : من توقيرهم ، وتبجيلهم ، وإعطائهم قدرهم ، والكف عن أعراضهم ، والوقيعة فيهم ، والبعد عن إثارة التشكيك في نياتهم ، ونزاهتهم ، والتعسف في حمل تصرفاتهم بالفتيا والقول على محامل السوء ، وتصيد المعايب عليهم ، وإلصاق التهم بهم ، والحط من أقدارهم ، والتزهيد فيهم . فإن هذا من أعظم وسائل «الهدم» ومواطن الإثم ، وتفتيت الأمة وإضعاف القيادة العلمية .

وما هذه إلا وخزات مرجف، وطعون متسرع. وهي مواقف يتشفى بها من في قلبه علة، وفي دينه رهق وذلة، من أهل البدع والأهواء وغيرهم، فلا تكونن ظهيرًا للمجرمين، تخذل علماء السنة وتكون بفعلتك هذه، تذود الناس عنهم، وعن دروسهم، وحلقهم ومآثرهم، وتسلمهم غنيمة باردة إلى علماء السوء والبدعة، أو جعلهم هملًا تتصيدهم الفرق والأحزاب.

٣- ومع هذا الواجب الشبابي من احترام العلماء، والالتفات حولهم، فواجب على العلماء العاملين: احتضان الشباب، واحتواؤهم والربط على قلوبهم بوشائج العلم والإيمان، وبهذا يكونون «**رابطة علمية شبابية**» تجد فيها «**العالم القدوة**» و«**القيادة العلمية**» للأمة ومصانع لرجال المستقبل، بما يظهرون.

ومن واجب العلماء نحو الشباب: حسن التعامل معهم، بدقة، وحكمة، وروية، بتوجيههم، والجلوس لهم، بالدرس، والتلقين والأخذ عنهم، والتلقي منهم والكتابة، والتأليف والفتيا، كل بما وسعه حتى يحتوي العلماء توجهات الشباب: العقدية والسلوكية. سليمة من الانحراف في الفكر، والسلوك.

وإن التحذير ليقوم على أشده، من مواجهة الشباب بالعنف، والغلظة والقمع، والملاحقة، والتشكيك في نياتهم، والانصراف، وصرف الوجوه عنهم، فلهذه وأمثالها آثار في غاية الخطر، والتمزق وسرقة في السلوك والاعتقاد، على أنقاض غليان الأفكار في مراحل الشباب، فحينئذٍ تطمر بهم طمرة، ترميهم في أعاصير مدمرة، وتدفعهم إلى الأعمال في السراديب المظلمة تحت مضلات منحرفة مختلفة، يفضي بعضها إلى بعض باغتيال المنهج الحق، والمسلك الرشد.

ومن كان سببًا في هذا ، فيا ويله من عذاب الله ، ومقته ، وغضبه إن لم يتداركه الله برحمته .

٤- على كل والٍ لأمر من أمور المسلمين بصفة خاصة وعلى كل مسلم بصفة عامة : إصلاح الحال بنبذ البدع والأهواء ، والمخالفات المذمومة ، ومنابذة أهلها :

فعلى رقابة المطبوعات : منع ما كان سبيله كذلك .

وعلى مسؤولي التعليم : منع التعاقد مع من كان كذلك .

وعلى التجارة : منع استيراد ما يضر بالمسلمين في دينهم وأخلاقهم .

وعلى التجار : الامتناع من الممارسة والتسويق ، والحذر من تكثير سواد المخالفين بمزاولة بيع وشراء السلع المحرمة وتأجير المحلات على أصحابها ، والله أعلم» ا.هـ .

تنبيه وتوجيه

أيها المسلم الكريم:

نحن لم نتهم سريرة أحد، وليس لنا إلا ما ظهر، وأنت يا أخي لا تتهم سريرة إخوانك، فوالله ما كتبنا حرفًا من هذه الرسائل إلا حبًا لله وحبًا لرسوله ﷺ ودفاعًا عن سنته وهديه، فإن رأيت في قولنا غير الحق فأرشدنا إليه يرحمك الله ﷻ.

واستمع إلى قوله ﷻ لكل أتباع الرسالات: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(١).

نقول: جزى الله كل الكاتبين والقراء عن حبهم لرسول الله ﷺ، ولكنا لا نقر أحدًا على العدوان على مقام الألوهية، أو شيء من الأسماء والصفات الإلهية أو الغلو في النبي ﷺ، وعند ذلك نقف في وجوههم ونرفع الصوت بقوله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ﴾(٢) ونقول للذين يزعمون الدفاع عن مقام الرسول ﷺ إننا ندافع عن مقام الله ﷻ أولًا ثم عن مقام رسوله ﷺ ثانيًا.

وأناشد دور النشر أن تتقي الله فيما تنشر ولا تنشر إلا فيما ينفع الناس مما يصحح عقائدهم ويقوم عباداتهم ولابد من استحضار الثواب في اختيار هذا الكتاب حتي يكون الناشر صاحب رسالة زيادة عن استثمار المال

---

(١) سورة النساء آية: (١٧١).
(٢) سورة الزمر آية: (٥٤).

والتجارة فإن فعل ذلك فهو مأجور عند الله سبحانه وتعالى ولايتم ذلك إلابالعناية التامة والدقة الفائقة وعرض الكتاب على العلماء السلفيين -لا أهل البدع والأهواء- وبعد اليقين من خلوه من أي شائبة مفسدة أو شبهة فلينشره وإلا فلا حتي يكون مفتاحاً لكل خير مغلاقاً لكل شر وهنيئًا لمن وفق لذلك(١) ولا يفوتنا في الختام أن ننوه بوجوب الرقابة على الكتب الشرعية ولا سيما كتب التراث ولو بقوة السلطان «**فإن الله عز وجل يزع بالسلطان لايزع بالقرآن**» .

---

(١) وانظر كتب حذر منها العلماء المشهور حسن سلمان تقديم بكر أبو زيد (١/ ٢٥-٦١)

خاتمة

وبعد:

فهذا جهد من بضاعته مزجاة، وخفاياه لا تخفى على مولاه، أسأل الله أن يتجاوز عن الجرأة والتقصير، وأن يستر بفضله في الدنيا والآخرة سرائر عبده الفقير وأن يتقبل هذا العمل على ما فيه، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعل له القبول في الأرض، وأن ينفع به كاتبه وناشره وقارئه والدال عليه، وأسأله الدرجات العلى من الجنة آمين.

والذي أرجوه ممن يقرأ (هذه الرسائل) أن يلتمس لي العذر فيما قصرت فيه، وما وجد فيه من صواب وحق فليقبله ولا يلتفت إلى قائله وما وجد فيه من خطأ فليدلني على تصويبه، وليعلم أني لم آل جهد الإصابة، ويأبى الله تعالى إلا أن يتفرد بالكمال.

والنقص في أصل الطبيعة كامن ... فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلومًا جهولًا؟!

لكن قدرة مثلي غير خافية ... والنمل يعذر في القدر الذي يحمل

يا رب غفرًا إن طغت أقلامنا ... يا رب معذرة من الطغيان

اللهم إني أبرأ إليك من كل كلمة فيها زلل واستغفرك حق غفرانك من كل ما جرى به اللسان أو كتبه القلم

والحمد لله أولًا وأخيرًا كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعظيم سلطانه، كما يحب ربنا ويرضى. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

تمت الرسائل

بحمد الله ومنّه وفضله يوم الأربعاء الخامس من شهر الله المحرم سنة ١٤٢٥هـ على يد كاتبه أحمد بن عبد الله السلمي عفا الله عنه وعن والديه وإخوانه ومشايخه وجميع المسلمين.